التعريف والتنقيب

نستحدث هذا الباب ونتبسط فيه إرادة أن نتدبر ما يتصل بقضايا الفكر وما يدخل في شؤون الذوق ، فنجريه إلى غايتين : احداهما مراجعة بعض ما يخرج في العلم والأدب والفن كتابةً أو أداء ، والأخرى نشر ما انطوى من النفائس المخطوطة أو المهملة . ومقصدنا ان يصبح هذا الباب مرجعاً للمستطلع السائل ومعرضاً للمستبصر الراكن . هذا ويشترك في إنشاء الباب نفر من أهل النظر وأعداء الهوى

بشر فارس

« ثلاثة رجال وامرأة » بقلم ابرهيم عبد القادر المازني

١٣½ × ٢٠ ، ١٦٠ ص ، مكتبة مصر ومطبعتها ، القاهرة ١٩٤٣

تفرَّد الاستاذ المازني في معالجة القصص بطابع متميز . ومن ظواهر هذا الطابع طواعية البيان . فأنت إذ تمضي في القراءة تشعر بأن الكاتب غير مجهد نفسه في تصيد لفظ أو تركيب عبارة . وانما هو فيض يجري عذوبة وسلاسة . وكذلك تلمح في السياق أشتاتاً من الكلمات يحسن الكاتب استعمالها في مواقع جديدة تملأك روعة وتشهد بذوق رائق . وفي تضاعيف الاسلوب روح من الدعابة الحلوة تنطوي على لون من التهكم المهذّب والسخرية اللبقة ، وهذه الروح تذهب في نقد الحياة وتكشف الستار عن مآسيها ، دون أن تشقّ الجروح أو أو تستنزف الدموع

وقصص المازني ، على وجه عام ، زاخرة بالشخصيات الفذّة . وهو يصورها حيّة نابضة بريشة فنان ماهر ، ويخرجها عجيبة يأنس الى عشرتها القارىء فيحسّ انهُ يخالطها ويطارحها الحديث بلا كلفة ولا وحشة . ولا يُغفل كاتبنا حين يرسم شخصياته أن يسترسل في عرض الخواطر التي تثير الفكر

وقد اجتمعت هذه المزايا مكتملة في كتاب الاستاذ المازني الجديد الذي أخرجتهُ « لجنة النشر للجامعيين » وأعني بهِ « ثلاثة رجال وامرأة » . وهو قصة قائمة على التحليل الدقيق لجملة من الشخصيات الطريفة التي لها بالحياة الانسانية والنفس البشرية — دون التعلق بلون عنيّ صاطع — أوثق الوشائج والصلات

ومن الجمع بين هذه الشخصيات يتوضح موضوع القصة وما يقصد اليه مؤلفها . فالبادي للقارىء أن هذه القصة ليست ظاهرة الحبكة الروائية التي ألفها في مقروءاته من القصص الناهجة منهج الاتباعيين . ولكن الاستاذ المازني يضع قصته تلك على أسلوب مستحدث من القصص الفنيّ لاحتْ بواكيره في الأدب الغربيّ منذ عهد قريب ، ولم يغز بعد أدبنا العربي كل الغزو على نحو غيره من مذاهب القصص . فللاستاذ المازني بهذه القصة مزية تقريب ذلك النمط الجديد الذي يقوم على عرض الشخصيات وتحليلها أبعد تحليل ، وبث الخوالج النفسية ، والتعبير عن شتى النزعات الانسانية ، ولا يعنيه الموضوع المحبوك في قالبه الروائي

(١) رتبت أسامي الكتب على حروف المعجم

الأصيل أكثر مما يعنيه تصوير الشخصيات وبسط الخواطر والآراء الجديدة بالنظر والتفهم . فالمازني في كتابه الجديد من الروّاد القدّمين ، يطرق مذهباً من مذاهب القصص لم ينتهجهُ إلاّ الأقلون من أدبائنا المحدثين

محمود تيمور

« الصدّيقة بنت الصدّيق » بقلم عباس محمود العقاد

١٤×١٩ ، ١٤٩ ص ، مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر ، ١٩٤٣

إن المؤلف يهر في تناول الجزء . فهو مفصّل بصير ، وكذلك كان يوم كتب في « عبقرية محمد » . واني لأردد هنا ما قلته في ذلك الكتاب [1] والقول انه كان في الحسبان ان يعدل المؤلف عن التحليل الى التركيب ، فيسرق سيرة الصديقة بحيث تنم من جنباتها أنوار الفضل ، كما يصنع الكتاب الافرنج ، اذ يعرضون لسير العظماء ، فعلى هذا النحو ألف E. Ludwig و S. Zweig و A. Maurois وأضرابهم . ومما ينعطف اليه الفصل الجزىء أن يضع حقيقة من حقائق النفس البشرية ثم يُجري اليها أعمال البطل أو البطلة (الأنوثة ، والغيرة ، مثلاً : ص ٣٣ ، ٤١) على حين انه في طريقة التركيب يشرق مثل تلك الحقيقة من خلال العزمات والانفعالات والحركات ، ولا وسمٌ لجريان السرد

***

كنتُ كتبتُ في « عبقرية محمد » : « أن المؤلف ولج الموضوع من باب مستجدّ ، وهو باب نفسيّة النبي العربي ، فأراد بما كتب ان ينفذ الى روح النبي فيستشف لطائفها على اختلاف ألوانها » . وها هو ذا يطرق الباب عينه في الكتاب الذي بين يديّ وموضوعه سيرة السيدة عائشة . ومن محاسن هذه الطريقة ان المترجَم مهما يعظم ويخطر ينزِلْ منزلة الانسان . فالسيدة عائشة ، على فضلها ، أنثى تامة الأنوثة : تغار وتفرط في الغيرة حتى إنها لتدبّ بين احدى ضرائرها والرسول ابتغاء الاستئثار به (ص ٣٣) ، ومن ذلك أنها ذات حدّة طبيعةً (١٣١) ، وانها ظلت تحمل الحقد لمن نصح للرسول أن يطلقها (١٣٢) ، وأنها مالت الى ذوي قرباها في أمر الخلافة (١٣٣)

تلك مزية في الانشاء الذي يتناول موضوعات قد تحرف المنشىء الى التمجيد والتفخيم إطلاقاً ، بدلاً من اختبار كنه النفس الفياضة بالاحساسات البشرية الصادقة الصافية

(١) المقتطف ، يونيه ١٩٤٢

غير ان هذا الضرب من الانشاء ربما كان مساقة الى حديث يغلب عليه منطق الدفاع، وذلك ما انجذب اليه المؤلف لما عرض لقصة الافك، فاجتهد في الجدل — وهو لصناعته حاذق — فأيد مذهبه بشواهد المعقول ونصوص المنقول. وربما لجّ في استخراج هذه، وأبعد في استنباط تلك، حتى انه يمسي في مدارج المجاذبة والمدافعة مفرطاً لا باحثاً:

من ذلك انهُ أوَّل شكوى امرأة صفوان بن المعطل — وهو بطل حديث الافك عند الرجفين — تأويلاً متزيِّداً فيه، ثم استند لأجل دحضه الى خبر لا ندري ما يكون. وتفصيل ذلك ان المؤلف نقل أن امرأة صفوان « شكته الى النبي لانه ينام ولا يصلي الصبح قبل طلوع الشمس » ثم زاد « وقد يحسن هنا أن نوجه شكوى امرأة صفوان الى بعض معانيها. كأنْ أرادت بثقل النوم كناية عن امر آخر لا تفصح عنه. إذ قيل عن صفوان هذا انه كان حصوراً لا يأتي النساء ... » (ص ٩٦)

والذي عندي أنْ ليس وراء شكوى امرأة صفوان تعريض، وليست حروف الشكوى بفارّة نحو الكناية، ولو كانت ذرّة لكان النبي الركن فطن للامر فما قال لصفوان على جهة التصريح: « اذا استيقظت فصلّ » إذ عقّب صفوان على شكوى زوجه يعتذر قال: « اني امرؤ ثقيل النوم لا أستيقظ حتى تطلع الشمس » (1). وأما قصة « الحصر » فليست بالحجة القاطعة. فالذي في سيرة ابن هشام (2) ان عائشة انها كانت تقول لقد سئل عن ابن المعطل فوجدوه رجلاً حصوراً ما يأتي النساء ». وفي « السيرة الحلبية » (3) انهُ ذكر ذلك من غير إسناد. وأما صاحب « أسد الغابة » (4) وهو جمّاع وثيق فلم يرو شيئاً من هذا. ثم ان « الحصور » لا يأتي النساء إما لعفّة فيه حابسة وإما لعُنّة، والعلة الاول هي الظاهرة في معنى « الحصور » الذي ورد في القرآن (سورة آل عمران) (5). ثم أضف الى هذا الاستدلال الخبري واللغوي أن الذي ذُكر عن صفوان لو كان أمراً مقطوعاً به مسلّماً ما انبث حديث الافك

ومن هذا الباب ان المؤلف يدفع قصة الافك بقوله: « على الذي يقبل وشاية كتلك الوشاية الواهية أن يروض عقله على تصديق أمور كثيرة لا موجب لتصديقها . . . عليه أن يصدق

---

(1) « السيرة الحلبية » ط القاهرة ١٢٨٠ ج ٣ ص ٤١ (2) ط القاهرة ١٣٤٦ ج ٢ ص ٣٠٩
(3) ج ٣ ص ٥١ (4) ط القاهرة ١٢٨٠ ج ٣ ص ٢٦ ي (= مابعدها)
(5) « مفردات الراغب » مصر ١٣٢٤ : ص ١١٩ — ظ أيضاً « تفسير البيضاوي » القاهرة ١٣٤٤ ص ٩٧ تحت

أن صفوان بن المعطل كان رجلاً لا يؤمن بالنبي ولا بأحكام الاسلام ، وأن يصدق أن السيدة عائشة كانت — وهي زوج النبي — لا تؤمن به ولا تعمل بدينه » (ص ١٠٢) . والذي أراه ان هذا الاستدلال مجتلَب بل محض ذاتي ، وذلك لاننا نعلم من طريق المشاهدة والملاحظة أن البشر يتفق لهم أن يزلّوا وان كانوا من أهل التصديق والايمان ، ولولا هذا ما احتاجوا الى ربٍّ « توّاب » . وان أنت جاريت المؤلف في منطقه قلتَ : « كيف تؤمن عائشة بالنبي وتنزل عند أحكام الاسلام ثم تساهم في صوغ قصة المغافير (ص ٣٢) لتستدرج الرسول الى قطع احدى زوجاته ؟ ليستفسر القارىء النابه عن كل ذلك ؛ فاحرْ على علم كثير

وكيفما كانت الحال فان قصة الافك لا تحتاج الى مثل ذلك الاجتهاد . وحسبُ الباحث المحدَث أن يقول ماقاله المؤلف بحقّ في أول كلامه على تلك القصة : « تلك شبهة لا تكفي للشك في امرأة من عامة المسلمين . . . إذ لو كانت كل امرأة تتأخر في الطريق تؤخذ بالتهمة في دينها وعرضها لكانت التهم في الاعراض أهون شيء يخطر على بال » . والمؤلف أن يردف هذا بما يسميه علماء التاريخ « النقد الداخلي » critique interne ومداره تحري الصحيح من المرويّ رغبةً في تبيين أخلاق عائشة وصفوان . فسيرة الصدّيقة في أيام النبي وبعده تبدو فوق الشبهة [1] . وأما سيرة صفوان فنزيهة بشهادة الرسول نفسه إذ قال : « وقد ذكروا رجلاً ما علمت عليه إلاّ خيراً وما كان يدخل على أهلي إلاّ معي » [2]

على أن المؤلف لم يُبعد هذا الابعاد إلا في الندرة [3] . ولهُ فصل حسن في « السياسة العامة » التي انتهجتها الصديقة، ولعلهُ خير ما في الكتاب ، ولعلّ السبب في ذلك ممارسة المؤلف لفن السياسة في حرفة الصحافة . والفصل يدور على واقعات صحيحة فُصلت وبُسطت في دقة ويُسر

ثم اني لا أشك في أن المؤلف ما أراد أن يولج كتابه في جانب العلم الصّرف لذلك ليس لنا أن نطالبه بذكر المصادر . غير أن القارىء المستطلع كان يود لو أثبت المؤلف طائفة من المراجع، إذ هناك أخبار وأحاديث قد يحلو للقارىء أن يذهب الى مظانها مستفيداً أو مستثبتاً ، ولا سيما انه بدا للمؤلف أحياناً أن يكثر النقل (ص ٤٠ ، ٦٣ ، ٩٥

(١) بخلاف مستسك المستشرق Muir ص ٩٢ (٢) البخاري، كتاب الشهادات، باب تعديل النساء . . وفي « أسد الغابة » ج ٣ ص ٢٧ : « منه » بدلا من « عليه » (٣) أنظر أيضا في ص ٢٥ ، فالذي يجري هناك امر طبيعي : الاب العربي يؤدب ابنته اكراماً لزوجها وارضاء ، ويواسيها الزوج مكتفياً . هذا وفي أعمال النبي متسع للامثلة الجلية على رأفته بأهله

مثلاً) . من ذلك ان المؤلف قال في بطل قصة الافك : « انهُ ما كشف عن كنف (بالنون) امرأة قط » ص ٩٦ . والذي في « السيرة الحلبية » [١] من البخاري « انه ما كشف كنف امرأة قط أي سترها لأن الكنيف الساتر » والذي قرأته في صحيح البخاري نفسه [٢] عن عائشة أيضاً : « والله ان الرجل الذي قيل له ما قيل (تعني صفوان) ليقول : سبحان الله فوالذي نفسي بيده ما كشفت من كنف انثى قط » . وفي « نهاية » ابن الاثير [٣] : « (وفي حديث الافك) ما كشفت من كنف أنثى »

هذا وربما ساق المؤلفُ الخبر الواحد او الحديث الواحد في لفظين مختلفين (ص ٢٥ ، ٣٣ — ٥٣ ، ٧١ — ٦٧ ، ١٠٠) . فلمَ لا يراسله القارىء في تنقله ؟ بل ينبغي للقارىء ان يراسله في مثل تحقيق سنّ عائشة ، ولا سيما ان المتواتر والذي عليه الجمهور أن عائشة تزوجها النبي وهي بنت ست سنين وأُدخلت عليه وهي بنت تسع [٤] . فانك لترى المؤلف يرجح ان عائشة ولدت في السنة الحادية عشرة او الثانية عشرة قبل الهجرة ، « فتكون قد بلغت الرابعة عشرة من عمرها او قاربتها يوم بنى بها الرسول » (ص ٤٥) ثم تراه يروي حديثاً لها مستشهداً بلفظه على اسلوبها الرسل السهل ، وحروف هذا الحديث : «تزوجني رسول الله وأنا ابنة ست سنين ... فأسلمتني اليه وأنا يومئذ بنت تسع سنين » (ص ٥٧ ي) ثم تراه يسوق شهادة جاريتها بريرة وهي تصفها في «السنوات الاولى من زواجها » فتقول : « كانت جارية صغيرة تعجن العجين وآمرها ان تحفظه فتنام عنه فتأتي الشاة فتأكله » (ص ٦٧) . يسوق المؤلف هذه الشهادة ليدل على عبث عائشة البريء ثم يوردها ثانية (ص ١٠٠) ، ليستظهر بها على القائلين بالافك الذي جرى حديثه في غزوة بني المصطلق وتاريخها يترجح بين السنة الرابعة والسادسة من الهجرة

فاذا جمعنا كل ذلك بعضه الى بعض خرج الينا هذا :

١ — يستشهد المؤلف بلفظ حديث لعائشة ويسقط مدلوله في آنٍ

٢ — تنام عائشة عن العجين ، فتأكله الشاة ، وهي ابنة ست عشرة سنة او اكثر (١٢ قبل الهجرة وهي سنة ولادتها بحسب المؤلف + ٤ بعد الهجرة وهي سنة الغزوة على ادنى تقدير — أو : ١٤ أي سنها يوم زواجها بحسب المؤلف + « السنوات الاولى من زواجها »

(١) ج ٣ ص ٥١ (٢) كتاب المغازي ، باب حديث الافك (٣) مادة ك ن ف (٤) من البخاري ومسلم وابي داود والترمذي والنسائي وابن ماجه والدارمي وابن حنبل وابن سعد وغيرهم . راجع المقالة في « مفتاح كنوز السنة » وضعه المستشرق فنسنك وترجمه محمد فؤاد عبد الباقي القاهرة ١٩٣٤ ص ٣٢٠

على حدّ تعبيره . كيف يكون ذلك ؟ بل كيف تكون عائشة « جارية صغيرة » ، على نحو ما وصفتها بريرة ، وهي ابنة ست عشرة أو فوق ذلك ، والفتيات العربيات كنّ مبكرات النضج ولا يزلن كذلك ؟

ومن المسلّم به أن تباعد الروايات في كتب السلف مجلبة للحيرة . ولكن المؤلف يختار ويرجح كما قد رأيتَ . فيحسن به الثبات على رأي يراه ، فلا يكتب في ص ١٠٨ « عاشت السيدة عائشة بعد النبي ستّا وأربعين » ثم يكتب بعد صفحتين اثنتين « فعاشت في صحبته زهاء عشر سنين وعاشت في ذكراه زهاء خمسين سنة » ، فرامنا انفلات من ذلك الجزم . ومن هذا الضرب قوله في ص ٧٨ « فعائشة البكر قد مات عنها عليه السلام وهي دون العشرين » [1] ثم كأنما ريب طارئ داخله فيقول في ص ١١٠ « كانت عائشة في أوائل العقد الثالث على أكبر تقدير عند وفاته » . فالظاهر أن المؤلف يجري الخبر أو الحديث الواحد على حسب المعاطف النابة التي يقصد اليها في هذا الفصل أو ذاك ، والنية سليمة

***

بقي أن المؤلف حسن له أن يعمل للكتاب مقدمة وخاتمة . فالمقدمة في المرأة العربية قبل الاسلام ، والخاتمة في حقوق المرأة . وفيهما من غزارة المادّة ما يفتق أبوابًا للنقاش والاستدراك . فهل أدعو المؤلف الى مراجعة أمر الوأد في الجاهلية ؟ إذ له أوجه غير التي ذكرها ، يصيبها في كتاب « العرض عند عرب الجاهلية » (باريس ١٩٣٢ ص ١٢٤ ي) [2] . وفي هذا الكتاب أيضًا ما يدل على أن العرب ما كانت تجري في شؤونها على « الارتجال » — على ما يذهب اليه المؤلف في المقدمة — بل كانت لها أحكام وسنن منظمة ، غير مسطّرة ، لها قوة الفرض ومن خلفها جزاء معنوي . ولتجدنّ جلة ذلك في مادة ع ر ض من ذيل

(١) على هذا الحساب الجديد تكون عائشة قد أدخلت على النبي وهي دون العشرة — أضف هذا الى ما ورد في حق الصفحة السابقة عند الكلام على تحقيق سن عائشة

(٢) قال المؤلف « وربما ظن بعضهم أن الوأد كله من مخافة العار . . . فالعرب وجد فيهم من يئد البنات اشفاقًا من النفقة » ص ٧ . فإن ظن أحد هذا [illegible] الاقدمون من مفسرين واخباريين يذكرون ما ينبهنا المؤلف اليه ، ولا حاجة بي الى سرد المراجع ، فالأمر مشهور . حتى المستشرقون وعلماء الاجتماع ذكروا ذلك مثلا :

Robertson Smith, Kinship and Marriage in early Arabia, 2d edition, London 1903, p 291 . ثم Westermarck, L'origine et le Développement des Idées Morales, trad. fr., Paris 1928-9, I, 414

دائرة المعارف الاسلامية الخارجة في ليدن بثلاث لغات اوربية

واما الطاعة فقد ذكرتنا بخطبة كان ألقاها شبلي شميل ونشرتها المقتطف سنة ١٨٨٦ [1]. ففيها ايضاً ان الفرق بين الرجل والمرأة من اصل الفطرة والطبيعة ، وفيها (ص ٩٧) « أن الرجل والمرأة إن تجاريا فالسابق السابق هو ، وهل يبلغ الظالع شأو الضليع » او كما ورد في خاتمة كتاب العقاد (ص ١٤١) « ولكن المرأة لا تبلغ شأو الرجل في هذه الصناعات اذا وقعت المزاحمة بينهما في إحداها » حتى مثل تبرز الرجل على المرأة في « الطبخ » او « الطهي » نصيبه في الكتابين جميعاً (شبلي ، ص ١٠٣ ، العقاد ، ص ١٤١)

على ان هذا الرأي الذي رآه فريق مشهورون من فلاسفة الغرب ، مثل شوبنهاور ونيتشه ، ان صدق سنة ١٨٨٦ فهو محل مراجعة اليوم وقد أفلتت المرأة من الوثاق التي شدتاها به دهراً ودهراً . ولقد كتب في القضية النسوية الشيء الكثير ودار ما دار . غير أني احب ان اذكر المؤلف ان النساء شاركن الرجال في فن الغناء بالشام وبالعراق وبالاندلس ، وبرزنهم احياناً ، وكثيراً ما طارحنهم وخرجنهم ، وحسبهن ان الإمام اسحاق بن ابراهيم الموصلي « مكث سبع سنين يختلف الى عاتكة بنت شهدة في كل يوم تضاربه ضرباً أو ضربين » [2] و « كانت أحذق الناس بالغناء » [3] . ثم اني أحب أن أذكره — فوق هذا — أن Isadora Duncan الاميركية ابتدعت في المائة التي نحن فيها ما لم يخطر ببال رقاص . وعلى هذا قس ما جاءت به في هذا العهد K. Mansfield و V. Woolf في القصص الانجليزي ثم M. Laurencin و S. Valadon في التصوير الفرنسي

ذلك طرف من باب الفن الخالص ، وأما باب الصناعة فخل الطنافس الايرانية والتركية والارمنية — وما أحلاها ! — من نسج المرأة الصناع . وأما التمريض مثلاً فما إخال الرجل يجرؤ على أن يطاول المرأة فيه ، الى غير ذلك من الأدلة التي يلمسها الشماط observer في الغرب على وجه التخصيص . لذلك لا يحسن اطلاق الحكم وجزمه في موضوع دقته كهذه . فالمستحسن بل المرغوب فيه أن يتحرز المؤلف هنا فيستنطق التحريات والاحصاءات ، ويوازن بعضها ببعض ، على اختلاف حركات الحس والارادة والذهن ، وإن كان أكثر الحق بين يديه

---

(١) انظر ايضاً الجزء الثاني من « مجموعة شبلي شميل » مصر ١٩٠٨ ، واليه ترجع الصفحات هنا
(٢) الاغاني طبعة بولاق ج ٦ ص ٥٧ (٣) عن ابن خرداذبه : الاغاني ج ٢١ ص ٢٢٦

في النهاية . ذلك غلط علماء النفس الذين يتناولون مسألة الفرق بين الرجل والمرأة (١)

والمؤلف أحكام أخرى قاطعة شاملة قائمة على آراء نسميها في صناعة الفلسفة « قبلية » a priori (٢). فعلم الاجتماع الحديث يخبرنا — ونحن في ص ١٤٠ — بأن هناك أمماً تظفر فيها المرأة بما لا يدور في أذهان بعضهم . ولك أن تراجع لأجل ذلك حتى المرحوم شبلي شميل (المجموعة المذكورة) وأن تراجع خاصة Westermarck المذكور في حاشية سابقة ونظراءه من علماء الاجتماع (٣)

***

وأما أسلوب الكتاب فعلى انسياق بل اندفاق ، في حسن تصرف ، ولطف بيان قد انسحبت في ثناياه برفق مسحة من البلاغة التي في كتب السلف المنقول عنها ، كل ذلك مع هدأة الثابت الذي لا يشغله الظفر . والأداء لا قلق فيه ، والعبارة سليمة ، وان وقفتني أشياء طفيفة معدودة مما يجري ، فيما أعلم ، على أقلام المولدين (وكلنا على تلك الحال) . ودونك بعضها :

ص ٢٦ — « آداب العرب النسائية » . فقد نبّه سيبويه على أن النسبة الى نساء « نسوي » (« الكتاب » ط بولاق ١٣١٦ ج ٢ ص ٨٩)

ص ٣٥ ، ٨٢ — « يحرمها من كذا ، حرمانها من كذا » . والمدوّن : « حرمت زيداً كذا أحرمه من باب ضرب ، يتعدى الى مفعولين » عن « المصباح المنير » مادة ح ر م ، ثم وازن غيره به

ص ٦٩ — « النسوة الاحدى عشر العراقي » ولعل فرار هاء « عشر » من فلتات الطبع

ص ٨٨ — « اذا هي (الاسرار) أملقت بعظماء الرجال وعظماء النساء » . فلولا « عظماء » الثانية لسلم النطق واستأنست العبارة بالآية « ... وكانت من القانتين »

---

(١) مثلا : Campbell, Differences in the nervous organisation of man and woman, London 1891

وفي هذا الكتاب ان البلاهة في الرجال اكثر منها في النساء . وانك لتصيب جملة ذلك في :

Heymans, La Psychologie des Femmes, Paris 1925

(٢) اطلب في « مباحث عربية » القاهرة ١٩٣٩ ص ١١٠ معنى « الرأي القبلي »

(٣) حتى في بلد اسلامي ، في مملكة محمد خان أوزبك بالقوقاز (عن رحلة ابن بطوطة : ط التقدم ، مصر ١٣٢٢ ج ١ ص ٢١١ ـ ٢١٢) « ان النساء أعلى شأناً من الرجال ... وربما كان مع المرأة زوجها فيظنه من يراه بعض خدامها »

ص ٩٣ — « الاختلاف يتراوح بين السنة الرابعة والسنة السادسة » . فالتراوح خلاف هذا ، كما بيّن من قبل الامام اليازجي ، واليوم الكرملي في مجلة المجمع العلمي العربي ، والعوامري في مجلة مجمع اللغة العربية الملكي . و عما غرض المؤلف « يترجح » كما سطّرت فوق ، أو يتذبذب ، أو نحو ذلك

ص ١١٧ — « تنكر عائشة التزيد من الثراء على الصحابة » . والمذكور في دواوين اللغة « التزيد في الشيء » أي تكلف الزيادة فيه

وبعدُ فلعلّ بين يدي الاستاذ العقاد ما لا يعتدّ اليه اطلاعي

بشر فارس

﴿ قنابل ﴾ مسألة مصرية في ثلاثة فصول ، بقلم محمود تيمور

١٢ × ١٦ ½ ، ١٨٩ ص ، لجنة النشر للجامعيين ، القاهرة ١٩٤٣

منذ عامين تقريباً نشر الاستاذ محمود تيمور مسرحيته « المخبأ رقم ١٣ » وقد عالج فيها النفس الانسانية وكيف يقوى فيها الشعور الديني عند وقوع الخطر واشتداد الكرب فتتمسك بأهداب الفضيلة حتى اذا ما بدأت غلة الكروب تنقشع بدأ الشعور الديني والتظاهر الخلقي في التواري شيئاً فشيئاً

واليوم ينشر مسرحية جديدة هي « قنابل » تمتّ الى مسرحيته السابقة بصلات منها المعين الذي استقى منهُ المؤلف مادة المسرحيتين ، وهو الحرب وويلاتها وما مرّ بهذه البلد فيها من فترة كانت أشد الفترات قتاماً وحيرةً وتشاؤماً وفزعاً ، الى جانب صلة الوحدة في فنّ تيمور القصصي من اطلاع على الروح المصرية في حالة الفرح أو الحزن والاضطراب أو الاستقرار ، ومن اهتمام بالأشياء الشاذة في المحيط الذي ينقل منهُ مسرحيته ، ومن ادراك للأحاسيس التي تجول عادة في نفوس الناس وقد تتفق أو تختلف في نفس واحدة تبعاً لظروفها وملابساتها ، ثم صلة أخيرة هي الروح الفكه الذي أضفاه المؤلف عليهما

ولكنّ هناك وجوهاً من الاختلاف بين المسرحيتين في الفكرة والجوّ وفي لغة المسرحية . فهو يطلعنا في المسرحية الجديدة على حيرة النفس الانسانية بين غريزتها في حب الحياة وما فرضته عليها عقيدتها وايمانها بالقدر فرضيت أن تتظاهر وراء العقيدة عما تفزع منه الغريزة ، ولكن هذه فلأية ، فتلجأ الى دعاوي أخرى تستر بها فزعها . فنرى أبطال المسرحية يفرّون من المدينة ، عند اشتداد الغارات الى الريف ، بدعوى الحرص على اصلاح

الريف والاشراف على الضياع حتى اذا وجدوا الموت الذي فروا منهُ كامناً لهم في الريف، في حوادثه واضطراب الامن فيه، وفيا يتفشى من أوبئة، عادوا الى المدينة بدعوى غير الاولى هي دعوى مشاركة الشعب فيا يقاسيه من آلام

هذه هي فكرة المسرحية الجديدة التي عالج بها الاستاذ تيمور حالة من حالات النفس الانسانية في حيرتها بين الايمان والخوف، وهي حيرة يتخللها التهور بسبب تلك الفكرة، ومدارها مفازع النفس مما ليس يبعث في الموضوع الحركة وفي الوجدان الرنة الجائشة. وأما جوّها فهو أرحب من جو مسرحيته الاولى التي جعل حوادثها كلها تجري في عفأ. وأما لغة المسرحية الجديدة فهي الفصحى وكانت في الاولى العامية. وقد صُدّرت مسرحية « قنابل » بمقدمة تحليلية غزيرة كتبها الفنان الاستاذ زكي طليمات

حسن كامل الصيرفي

﴿ معجم الالفاظ الزراعية بالفرنسية والعربية ﴾ بقلم مصطفى الشهابي

١٧ × ٢٤، ٧٧٤ ص، مطبعة الجمهورية السورية، دمشق ١٩٤٣

﴿ ميزات الكتاب ﴾ ما من أحد من قراء العربية يجهل اسم الامير الاستاذ مصطفى الشهابي فشهرته معروفة بما وشى به المقتطف وبما بثهُ على صفحات مجلة المجمع العلمي العربي في دمشق، وكان جمهور أبناء مُضَـر يتمنون أن يروا بين أيديهم هذا المعجم النفيس الذي كان يذكره كثيراً في مقالاته الحصيفة . وقد امتاز هذا المعجم بأشياء كثيرة لا ترى في طائفة من هذه المصنفات، ونحن نسرد للقارىء بعض هذه الميزات :

احداها : انه تُـرَى جماعات جماعات من الالفاظ المعربة تعريبا لا أمت فيه ولا عوج ويردفها بما يبينها لمن لا يهتدي الى معناها . فيقول مثلاً :

Abélie (آبِلِيَة بالمذكر الياء) (سميت باسم أحد الاطباء . جنس جنبات للتزيين ، من فصيلة الخمانيات ، أصلها من الشرق الاقصى وتزرع بعض أنواعها لجمال زهرها)

Abronia رشيقة (الاسم العلمي من اليونانية بمعنى الرشاقة ، لرشاقة أزهارها . جنس زهر من فصيلة الشبّيات)

Abrus (Abre) عَبلة ، أبروس (الاولى ترجمة الاسم العلمي والثانية معربة . جنس نباتات من فصيلة القطانيات ، فيه أنواع للتزيين)

A. Precatorius عصبة السوس . بـبـلـي أميركة زمترجنان . وسماه الدكتور احـمـد عيسى « حب العروس ، وشقم ، وفلفل » ، على حين ان كلاً منها نبات غير هذا النبات . وسمّاه عيون الديك . قلت : لعلهُ عيون الديكة المذكور في المفردات . وهو جـنـبـة تـستعمل جذورها كعرق الـسوس ، ولها بزور حمر لامعات ؛ على كل منها نقطة سوداء يصنعون منها عقوداً وأساور للاولاد :

فالقارىء يرى من هذا الـكلام الوجز ان المؤلف كتب : بـلى كـبـرلـى وهي الكتابة الفصيحة ، وكثيرون يكتبونها «بلة» بهاء في الآخر وهو غير صحيح . وانك لتجد في هذا السفر الجليل طائفة لا تعد من مثل هذه الاسماء الحديثة الوضع ، لـكن على أساس متين لا يتزعزع ، وذلك الى آخر ما دوّنهُ فيه من هذا القبيل

والمزية الثانية انهُ يحكم الوضع عما يقابل الـكلمة الفرلـيـة احكاماً دقيقاً . فقد قال مثلاً في : Acacia Glaucophylla سنط أحوى (داحية في اليمن ، وقلت : احوى ، بتصرف) وقال في A. Cyanophylla سنط مزرقّ الورق (ورقه الى زرقة ، وهو صـالح للتزيين وللارض اليابـسة)

فانظر الى دقة الوضع في التسميتين ولم يكتف في الاول باللفظ اليماني ولم يقل في الثاني سنط أزرق لأن الازرقاق غير الزرقة ، وما أكثر من لا يميز الشيء الواحد عن الشيء الآخر

والمزية الثالثة أن المؤلف لا يدون في تأليفه إلا ما تحقق وجوده في كلام الفصحاء ، فان شك أظهر شكه بلا توقف . راجع مثلاً ما وضعهُ بازآء Acer تَرَهُ يقول : « قَيْقَب . جرمَشَق (القيقب في اللسان والتاج : الآزاد درخت بالفارسية . وهذه الـكلمة تطلق على ما نعلم على Melia azedarach ، لـكن القيقب أصبحت تدل اليوم على هذا الشجر ، أي على جنس Acer أما الجرمشق فلم أجدها إلا في معجم دوزي نقلاً عن كتاب ألفه لاين[1] في المصريين . قال فيه : أظن ان الجرمشق هو Erable جنس أشجار وجنبات حرجية وتزيينية من فصيلة القيقبيات) — فانظر الى هذا التحقيق ، الدقيق ، ومن الأسف أراني اليوم بعيداً عن خزائني البغدادية . وأظن ان أول من ذكر الجرمشق هو فريتغ الألماني في معجمه العربي اللاتيني ، وأظن أيضاً ان صاحب محيط المحيط نقلها في ديوانه من دون ان يشير الى المصدر الذي اخذ منه ، وقد أوهمُ

(١) نطق الاسم : «لين Lane ، وكتابه : Man. and Cust. of the Mod. Egypt. (ب . ف)

ومما استحسناه كل الاستحسان في هذا الديوان الجليل كتابة « اسباناة ، وخلاّة ، وسلماة ، وكبرتاة » ونحو هذه الحروف بطاء في الآخر ، وهو أول من اتبعنا في هذا الرسم وهو اللازم . وأما كتابتها بالتاء المربوطة فغلط واضح ، لأنها ان كتبت بالتاء ، دلت على الجمع السالم لاسقية ، وخلة ، وسلفة ، وكبريت وكبرتة ، الى نظائرها . وأما المعترض على ان خلاّة مثلاً يوقف عليها بالهاء فنقول له : ان هذه الألفاظ يسكت عنها بالتاء لا بالهاء وذلك واضح من عجمة صيغتها ، وعجمة تركيبها . فقد جاء في اللسان في مادة : م ن ي) ما نصه : « وفي التنزيل العزيز : ومناة الثالثة الأخرى . والهاء للتأنيث ويسكت عليها بالتاء وهو لغة ، والنسبة اليها منوي » اه . (ومناة ، الصنم العربي الانثى لفظ يوناني لأنه كان يرمز اليها بصورة قمر ، ومعنى مناة : القمر ، بلغة الهلنيين)

***

﴿ ما نظنه وهماً في نظرنا ﴾ ان المؤلف العلامة ذكر في معجمه اسماء كثيرة من الحيوان والطير ، والحشرات والهوام وربما استعجل في نقل بعض الاسماء من غير مراجعة بعض تآليف أرباب الفن او الاختصاصيين . فقد ذكر Putois d'Afrique ووضع بين يديه : ابن عرس (ج : بنات عرس للذكور والاناث . وتطلق أيضاً على الحيوان المسمى Belette وهما من جنس واحد . حيوان من فصيلة السموريّات) . والمشهور عند العلماء ومذكور في أغلب المصنفات في هذا الموضوع ان ما سماه المؤلف ابن عرس هو الظَّربان . وهو مشهور في مَثل عربي يذكره أرباب المعاجم العربية . أما المؤلف فجعل الظربان مقابلاً لما يسميه الفرنسيون Ictonyx ووضع بازاء Mouette ظربان اميركي . فهذا الوضع صحيح دون الذي قبله

ووقع له مثل هذه الكلم المتشابهة بالعربية وبازائها اسماء فرنسية غير متشابهة للتخاليات الآتية : Chouette, Duc, Effraie, Hibou, Moyen duc, Petit duc, Grand duc وهذه لم تذكر في محل خاص بها ، بل في مادة Duc . وفي العربية ألفاظ خاصة بكل من هذه البوم الكثير لا أتمكن من ذكرها هنا ، لأني بعيد عن كتبي ، التي هي في بغداد . ولعلي أعود الى هذا البحث ، حينما أعود الى وطني بعد حين

***

﴿ ما نتمنى ان يكون في هذا المعجم ﴾ نتمنى أولاً ان يعاد الى العربية ما كان أصله في هذه اللغة الشريفة . من ذلك : Addax . فقد وضع لها المؤلف الكلمة مهاة . وهي على الحقيقة (عَدّاء) من العَدْو . وهي غير موجودة في بلاد العرب بل في ديار الاندلس — على

ما أتذكر — والعداء من وضع عرب الاندلس وقيل لي انهُ موجود في جزيرة العرب

وكذلك Chamois فقد وضع لها المؤلف شَمْواة وهي (قَمُوص) في العربية وقد ذكر لغويو الفرنسيين ان كلتهم من الالمانية القديمة Qamuz (قموص) مع انها من العربية اذ ليس في الالمانية ما يوجب وضع اللفظ المذكور ، بخلاف العربية فانها مشتقة من القماص كسحاب وغراب ، وهو الوثب الذي هو من خاصية هذا الحيوان الرشيق ، والكلمة من وضع عرب الاندلس أيضاً

ومن هذا القبيل ما ذكره حضرته عن المسمى Cavia Cobaya, Cochon d'Inde, Cobaye (اللفظة اللاتينية كوبايا من لغة اميركية غير معلومة . حيوان لبون من القواضم). والذي عندي ان هذا اللفظ من أصل عربي هو القبع ، لانه كثير القبوع وقبوعه نخيره وهو صوته وان لم يكن عديداً كقبوع الخنزير . قال في « لسان العرب » : قبع يقبع قبعاً وقبوعاً : نخر . وقبع الخنزير ويقبع قبعاً وقباعاً كذلك » اه

ويجري هذا المجرى ما جاء في Boa : بُوَاء (معربة ثعبان عظيم من فصيلة الاصَلِيّات) والذي عندي أن الكلمة من العربية من « باع يبوع : اذا جرى جرياً ليناً وتثنى وتلوى » (عن اللسان) وهذه الصفات من خاصية هذا الثعبان العظيم ، كما هو معروف عنهُ ، ومدوَّن في جميع التصانيف

وجاء في ترجمة Alcool « كحول . قول (لم يجز بعض اللغويين الكلمة الثانية يسمّى سبيرتو بعامية الشاميين — اه) وكذلك في عامية العراقيين والمصريين . والقول خطأ وان قال به كثيرون اذ لم يرد في كلامهم . وانما كُحُول تصوابها كُحْل كقفل ، كما يقر بذلك لغويو الغربيين . وقد وردت بهذا المعنى عينه في قصيدة قديمة في علم الكيمياء في نسخة خطته لاحد الاقدمين ، والمخطوط مخزون في الدير الكرملي في بغداد ، وليس الآن في يديّ . والجامع بين الكحل السائل والكحل المذرور هو لطافة الجوهر ، سائلاً كان أم جامداً . وامثال ذلك كثيرة في العربية

ونتمنى ثانياً ان يختم كتابة الاسماء المؤنثة بالهاء لا بالالف ، أزهاراً كانت الالفاظ أو مُدناً أو منسوبات الى رجال مشهورين . وسبب هذا الرسم ان الاقدمين ، من علمائنا من العرب الاقحاح ، لما فتحوا المدن الاندلسية ، أو زاروا ديار الغرب ، ما كانوا يكتبون تلك الاعلام إلاّ بهاء في الآخر . فهذا الادريسي لما زار مدن ايطالية لم يختم كتابتها إلا بالهاء . وهي كثيرة . والكتاب نفاس بتلك الاصقاع مطبوع ومنقول الى لغة اجنبية .

وقد وردت (رومة) مكتوبة بالهاء اغلب الاحايين ، ومرتين او ثلاثا بألف ، وأظن ان هذا الرسم الاخير من الناشر أو الطابع لا غير ، وإلا فانها كتبت دائماً بالهاء

والعرب الذين فتحوا ربوع الاندلس لم يكتبوا أسماء تلك المدن إلا بالهاء . وقد وضع العلامة حسن حسني عبد الوهاب باشا رسماً (خريطة) تمثل تلك الديار ، ولم يرسمها كلها إلا بالهاء ولم يسجل واحدة بألف في الطرف بل رسمها كلها بهاء في الآخر ، لأنه توخى الامانة في ما خطط ورسم

وأما الذين يكتبون أسماء الاناث — من مدن ، ونساء ، وأزهار ، وحشرات — بالألف في الآخر ، فانهم لم يكونوا من العرب ، ولم تكن لغتهم المضريّة ، بل كانوا من أهل سورية أو من الاجانب المتعرّبين ، ممن يرسم أواخر تلك الاعلام في تلك اللغات بالف في الطرف . إبحث في معاجم العرب من لغوية وبلدانية ، ترهم يكتبون سورية بالهاء ، وكذلك أنطاكية وقسطنطينية وانابة واشباهها ، بخلاف ما يفعله اليوم بعضهم

والأمير الاستاذ صاحب المعجم لم يسر في هذه الطريق على وجه واحد — ويا للاسف ! — بل جرى مرة على أسلوب السريانيين ، ومرة على طريقة العرب وربما جمع بين الاثنين ، فانك تجده يرسم Dalbergia دلبرجية ، ودفنة Daphne وداتورة Datura Stramonium الخ متبعاً في هذا الرسم منهج السلف الفصيح

وكتب غداسيا ، وغردونيا ، وغرديا ، وغريفيليا .. سيراً وراء السريانيين والمتعربين . وخطّ درْوِينا أو دروينيّة ، هكذا بالوجهين لفرنسية Darwinia وقال : « منسوبة الى دروين العالم الواليدي Naturaliste الانكليزي المشهور . جنس جنبات التزيين من فصيلة الآسيان » . قلنا : فان كانت هذه الجنبة منسوبة الى دَرْوِن (وكتابتها بدون ياء قبل النون هي أفضل من كتابتها بالياء ، كما كان يفعل المرحوم الدكتور يعقوب صروف ، هي أقرب الى لفظها الانكليزي) . فمن العبث أن تكتب بالالف ، كما ان من العبث أن تكتب سورية ، وانطاكية وقسطنطينية الخ بألف في الآخر . وورود ألفاظ مكتوبة بوجهين قليلة جداً

ونتمنى ثالثاً أن يهجر بتاتاً طريقة من يجيز كتابة الصفة المجموعة بصورة مفردة ، وأريد أن أشير الى من يجيز قول من يذهب الى استعمال : نساء سمراء ورجال سمراء .. فهذا لم ينطق به عربي . فقد قال المؤلف مثلاً في Chouette بومة صمماء (أنواع من البوم لا تنازع لها ولذا نعتت بأنها صمماء) . والصواب الذي لا ريب به ، ولا شك ولا توقف :

بأنها « صُحْم » . ومثل هذا الاستهجان قليل جداً ، لأن طبيعة الأمير عربية محضة ، وسليقته تنبذ هذه الشبهات من غير أن يتوخى دفعها بطريقة نحوية أو صرفية

وأن يهجر أيضاً اللغة الجارية ، كما هو دأبه ، ومع ذلك نراه يقول في مادة Dravière خليط الكلإ (خليط من القطاني والنجيليات تزرع بزورها سوية . . . » وسوية لم ترد بمعنى « معاً » الا في كلام العوام من الديار العربية اللسان . ومثل هذه الهفوات قليلة جداً بل أقول بكل فخر للأستاذ المؤلف انها نادرة لا يلتفت اليها ، ولا يؤبه لها

وتمنى رابعاً ان يتدبر الكلام حين يصوغ العبارة العربية ولا يلتفت الى أرباب الصحف والكتب السقيمة الانشاء . فقد جاء مثلاً في مادة حامض (ص ٢١ Acide) ما هذه اعادة عبارته بنصها : « حامض جسم مركب يحمر صباغ الطرنشول الازرق . والحوامض ثلاثة أشكال وهي اولاً . . . ثانياً . . . ثالثاً . . . » وصحيح التعبير ان يقال : ثلاثة أشكال وهي : الاولى . . . والثانية . . . والثالثة . . .

وتمنى خامساً ان يعدل عن التعبير الكيماوي القديم الى تعبير عربي يرضي العامة والخاصة ، والعلماء الاجانب وأثبات اللغة . فقد جاء مثلاً قوله في Sulfureux « حامض سلفورو حامض كبريتو » اهـ . ومن المعلوم في لغتنا العدنانية انها لا تقبل الفاظاً تنتهي بواو ساكنة ولهذا قال علماء الجامعة الاميركية منذ نحو سبعين سنة : حامض كبريتوس وهذا أصح . لكني اتفقت مع المرحوم الشيخ احمد السكندري أن يقال في حامض الكبريتيك : الحامض الكبريتي . وفي الحامض الكبريتوس : الحُوَيْمِض (بالتصغير) الكبريتي ، لأن المطلوب من هذا الوضع قلة الحامض لا غير

***

﴿ عجبنا من سعة اطلاع المؤلف ﴾ تحكم من مطالعة هذا المعجم النفيس على سعة اطلاع الامير في الموضوع الذي عالجهُ فانهُ اطلع ما كتبه الدكتور داود الجلبي وما كتبه مرشد خاطر الدكتور العالم العامل . راجع ما وضعه المؤلف في : استمصال ، وما كتبه الفريق الدكتور أمين المعلوف ، رحمه الله ، وما كتبتهُ أنا . راجع ما جاء في : مَمْصَرَى (لا يمصرى بالكسر لا بالفتح) وما وضعهُ المؤلف بنفسه ، وراجع ما جاء في : سلفرة . ولعلَّ هناك غير من نوهنا باسمه ، أو قد غاب عنا حين كتابتنا هذه العجالة

وفي الختام اننا نشكر العلامة الجليل على ما أتحف العربية ، بهذه الهدية الثمينة . ولا جرم ان كل عالم واسع المعرفة ، وكل مضري لا يخامره الحسد ، يشكره معنا لأنه أهل